بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

1361

الله عليه وعن آله وصحابته الامجاد
العلامه الحافظ [illegible] الدين
ابي عبد الله محمد الـ[illegible] حنبلي
المعروف بابن القيم الجوزيه
رضي الله
عنه

صار هذا الكتاب وقفا على المدرسه الاكاديميه المعروفه بالمدرسه العاصميه من اراضي الحرم الشريف المؤسسه من امير المؤمنين ابي جعفر المنصور سنه ١١٣٤

١٩٤١ بحث

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم وصلى الله على
سيدنا محمد واله الاكرمين الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين
ولا اله الا الله اله الاولين والاخرين وقيوم السموات والارضين ومالك يوم الدين الذى لا يموت الا
فى طاعته ولا عز الا فى التذلل لعظمته ولا غنا الا فى الافتقار الى رحمته ولا هدى الا فى الاستهداء بنوره
ولا حيوة الا فى رضاه ولا نعيم الا فى قربه ولا صلاح للقلب ولا فلاح الا فى الاخلاص له ونور حبه الذى
اذا اطيع شكر واذا عصى تاب وعفر واذا دعى اجاب واذا عومل اثاب والحمد لله الذى شهد له بالربوبيه
جميع مخلوقاته واقرت له بالالهه جميع مصنوعاته وبدايع آياته وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته
من تسبحت له السموات وما لاكفها والنجوم وافلاكها والارض وسكانها والبحار وحيتانها والحوم والجبال
والشجر والدواب والاكام والرمال وكل رطب ويابس وكل حى وميت فسبحى رب السموات السبع
وما بين وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له كلمة قامت بها الارض والسموات وخلقت لاجلها جميع المخلوقات وبها ارسل الله رسله
وانزل كتبه وشرع شرايعه ولاجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام بشوق الجنه والنار
وبها تقسمت الخليقه الى المومنين والكفار والابرار والفجار فهى منشا الخلق والامر والثواب والعقاب
وهى الحق الذى خلقه لها وعليها نصبت القبله وعليها اسست الملله وبها جردت سيوف الجهاد
فلا تزول قدم العبد بين يدى الله حتى يسال عن مسئلتين ماذا كنتم تعبدون وبماذا اجبتم
المرسلين فجواب الاولى تحقيق لا اله الا الله معرفة وقرارا وعملا وبجواب الثانيه بتحقيق ان محمدا رسول
الله معرفه واقرارا وانقيادا وطاعة واشهد ان محمدا عبده وامينه على وحيه وخيرته من خلقه
وسفيره بينه وبين عباده المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم ارسله الله رحمة للعالمين واماما
للمتقين وحجة على الخلائق اجمعين ارسله على حين فتره من الرسل فهدا به الى اقوم الطريق
واوضح السبل وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه وسد دون
جنته الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه فشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وجعل
الذله والصغار على من خالف امره وفى المسند من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى
تحت ظل رمحى وجعل الذله والصغار على من خالف امرى ومن تشبه بقوم فهو منهم فكان الذله
مضروبه على من خالف امره فالعز لاهل طاعته والرفعه والله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم
الاعلون ان كنتم مومنين وقال تعالى ولله العزه ولرسوله وللمومنين وقال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم
وانتم الاعلون والله معكم وقال تعالى يا ايها النبى حسبك الله ومن تبعك من المومنين اى الله وحده
كافيك وكافى اتباعك قال المحاسبى معناه والى احد وهما نقدير ان احدهما ان تكون الواو عاطفه
لمن على الكاف المجرور ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون اعاده الجار على المذهب المختار
وشواهده كثيره وشبهه المنع واهيه والثانى ان تكون الواو واو مع ويكون من فى محل النصب

السوال والحساب فى عليها مع الثواب والعقاب

على الموضع فان حسب بمعنى كافيك اى الله يكفيك وتكفى من اتبعك كما تقول يغرب حسبك وزيدا
درهم قال الشاعر

اذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا اصح التقديرين وسيبويه لا يجيز ان تكون فى موضع رفع لانه يدى اى ومن اتبعك من
المومنين فحسبهم الله وفيه تقدير ثالث وهو خطا من جهة المعنى وان تكون فى موضع رفع عطفا على
اسم الله وتكون المعنى حسبك الله واتباعك وهذا وان قاله بعض الناس فهو خطا محض لا يجوز حمل
الاية عليه فان الحسب والكف لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين ففرق بين الحسب والتاييد
فجعل الحسب له وحده وجعل التاييد له بنصره وبعباده واثنى الله سبحانه على اهل التوكل من
عباده حيث افردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله فاذا كان هذا قولهم ومدح
الرب لهم بذلك فكيف يقول لرسوله الله واتباعك حسبك واتباعك قد افرد والرب تعالى بالحسب
ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه فكيف يشرك بينهم وبينه فى حسب رسوله هذا من المحال
والباطل الباطل ونظير هذه الاوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتامل كيف جعل الايتاء لله ولرسوله كما قال تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالص حقه
كما قال انا الى الله راغبون ولم يقل والى رسوله بل جعل الرغبه اليه وحده كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب فالرغبه والتوكل والانابه والحسب لله وحده كما ان العباده والتقوى والسجود
والنذر والحلف لا يكون الا له سبحانه وتعالى ونظير هذه الاوله ايضا قوله تعالى اليس الله بكاف عبده
والحسب هو الكافى واخبر سبحانه انه وحده كاف عبده فكيف يجعل اتباعه مع الله فى هذه
الكفايه والله الدال على بطلان هذا التاويل الفاسد اكثر من ان نذكر هنا والمقصود
ان بحسب متابعه الرسول تكون القوه والكفايه والنصره كما ان بحسب متابعته تكون الهدايه
والصلاح والنجاه والله تعالى علق سعاده الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين فى مخالفته
فلاتباعه الهدى والامن والفلاح والعز والكفايه والنصره والولايه والتاييد وطيب العيش
فى الدنيا والاخره ولمخالفيه الذله والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقا فى الدنيا
والاخره وقد اقسم صلى الله عليه وسلم بان لا يؤمن احد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به من نفسه
وولده ووالده والناس اجمعين واقسم سبحانه بانه لا يومن من لم يحكمه فى كل ما تنازع فيه هو
وغيره ثم لا يجد فى نفسه حرجا مما حكم به ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا وقال
تعالى وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم فقطع
سبحانه وتعالى التخيير بعد امره وامر رسوله فليس لمومن ان يختار شيا بعد امره صلى الله عليه
وسلم بل اذا امر امره حتم وانما الخيره فى قول غيره اذا خفى امره وكان ذلك الغير من اهل العلم
به وسنته فهذه الشروط لا بد ان يكون قول غيره سايغ الاتباع لا واجب الاتباع فالواجب على احد
اتباع قول احد سواه بل غايته انه يسوغ له اتباعه ولو ترك الاخذ بقوله لغيره لم يكن عاصيا لله

ورسوله • فان هذا امر يحبه ويحب على جميع المكلفين اتباعه ويحرم عليهم مخالفته ويحب عليهم ترك كل
قول لقوله • فلا حكم لاحد معه ولا قول لاحد معه كما لا تشريع لاحد معه وكل من سواه فانما يحب اتباعه
على قوله اذا امر بما امر به • ونهى عن ما نهى عنه فكان مبلغا محضا ومخبرا لا منشيا ومؤسسا من
من انشا قولا او اسس قواعد الحسب فهمه وتاويله • لم يجب على الامة اتباعها ولا التحاكم اليها حتى يعرض
على ما جاء به • فان طابقه ووافقه وشهد لها بالصحة قبل حينئذ • وان خالفته وجب رد ها
واطراحها • وان لم يدر فيها احد الامرين جعلت موقوفه • وكان احسن احواليها ان يجوز الحكم
والافتاء بها وتركه • واما انه يحب ويتعين فكلا • ولما قال الله سبحانه وتعالى هو المتفرد
بالخلق والاختيار من المخلوقات • قال الله تعالى وربك يخلق ما يشا ويختار • وليس المراد هنا بالاختيار
والارادة التى يشير اليها المتكلمون بانه الفاعل المختار وهو سبحانه كذلك • وليس المراد بالاختيار هاهنا
هذا المعنى • وهذا الاختيار داخل فى قوله يخلق ما يشا ويختار • فانه لا يخلق الا باختياره وداخل
فى قوله ما يشا فان المشيه هى الاختيار • وانما المراد بالاختيار هاهنا الاختيار والاصطفى هو
اختيار بعد الخلق • والاختيار العام اختيار قبل الخلق • فهو اعم واسبق • وهذا اخص وهو متاخر
فهو اختيار من الخلق • والاول اختيار للخلق • واصح القولين ان الوقف التام على قوله ويختار
ويكون ما كان لهم الخيره نفيا اى ليس هذا الاختيار اليهم بل هو الى الخالق وحده فكما هو المنفرد بالخلق
فهو المنفرد بالاختيار منه فليس لاحد ان يخلق ولا يختار سواه • فانه سبحانه اعلم بمواقع اختياره
ومجال رضاه وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له • وغيره لا يشاركه فى ذلك بوجه ما • وقد يجب بعض من لا
يحقق عنده ولا تحصيل الى ان ما نافية فى قوله ما كان لهم الخيره موصوله وهى مفعول ويختار اى ويختار
الذى لهم الخيره • وهذا باطل من وجوه احدها ان الصله حينئذ تخلو من العايد لان الخيره
مرفوع بانه اسم كان ولهم الخبر • فيصير المعنى ويختار الذى كان الخيره لهم • وهذا التركيب محال
من القول فان قيل يمكن تصحيحه بان تكون العايد محذوفا وتكون التقدير ويختار الذى كان لهم
الخيره فيه اى ويختار الذى كان لهم الخيره فى اختياره قيل هذا افسد من وجه آخر وهو ان هذا
ليس من المواضع الذى يجوز فيها حذف العايد فانه اما محذوف مجرورا اذا جر حرف جر الموصول
بمثله مع اتحاد المعنى نحو قوله تعالى ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون • ونظايره • ولا يجوز ان
يحال على الذى مررت • ورايت الذى رغبت فيه ونحوه • الثانى انه لو اريد هذا المعنى نصب الخيره
وشغل فعل الصله بضمير يعود على الموصول فكان يقول ويختار ما كان لهم الخيره اى الذى كان هو عن
الخيره لهم • وهذا لم يقرأ به احد البته مع انه كان وجه الكلام على هذى التقدير • الثالث ان الله
سبحانه يحكى عن الكفار اقتراحهم فى الاختيار وارادتهم ان تكون الخيره لهم ثم ينفى ان هذا هو شانه عنهم
ويبين تفرده بالاختيار كما قال تعالى • وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوه الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون • فانكر عليهم سبحانه تخيرهم عليه واخبر ان ذلك
ليس اليهم بل الى الذى قسم بينهم معايشهم المتضمنه لارزاقهم ومدد احالهم • وكذلك هو الذى
قسم بينهم فضله بين اهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار ومن يصلح له ممن لا يصلح
وهو الذى رفع بعضهم فوق بعض درجات • وقسم بينهم معايشهم ودرجات التفضيل • فهو القاسم

ذلك وحده لا غيره • وهكذا هذه الآيه بين فيها انفراده بالخلق والاختيار • وانه سبحانه اعلم بمواقع
اختياره • كما قال فاذا جاءتهم الآيه قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتى رسل الله • الله اعلم حيث يجعل
رسالاته • اى الله اعلم بالمحل الذى يصلح لاصطفايه وكرامته وتخصيصه بالرساله والنبوه دون
غيره • الرابع انه نزه نفسه عما اقتضاه شركهم من اقتراحهم واختيارهم فعال ما كان لهم الخيره
سبحانه الله وتعالى عما يشركون • ولم يكن شركهم مقتضيا لاثبات خالق سواه حتى نزه نفسه عنه فتامله
وانه فى غايه اللطف • الخامس ان هذا نظير قوله فى الحج ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب • ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوى عزيز • ثم قال الله يصطفى من الملايكه رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور • وهذا نظير قوله فى القصص وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون • وتامل ترتيب هذه الانعام اعلم الله اعلم حيث يجعل رسالاته • اخبر فى ذلك كله عن
علمه المتضمن لتخصيصه محال الاختيار ثم اخبر انه خصها به لعلمه بانها تصلح له دون غيرها • فتدبر السياق
فى هذه الايات تجده متضمنا لهذا المعنى دائرا عليه والله اعلم • السادس ان هذه الايه المذكوره
عقيب قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانبا يومئذ فهم لا يتساءلون
فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين • وربك يخلق ما يشا ويختار • وكما خلقهم
وحده سبحانه اختار منهم من تاب وامن وعمل صالحا • فكانوا صفوته من عباده وخيرته من
خلقه • وكان مرد الاختيار راجعا الى حكمته وعلمه سبحانه بمن هو اهل له لا الى اختيار هؤلا المشركين
واقتراحهم • سبحان الله وتعالى عما يشركون • فصل فاذا تاملت اخوات هذه الايه التى هذه
الاختيار والتخصيص فيه دال على ربوبيته تعالى • وجلاله نيته • وكمال حكمته وعلمه • وقدرته
وانه الله الذى لا اله الا هو • فالشريك له يخلق كخلقه • ويختار كاختياره • ومدبر كتدبيره • فهذا
الاختيار • والتدبير • والتخصيص المشهود اثره فى هذا العالم من اعظم ايات ربوبيته • واكبر شواهد
جلاله نيته • وصفة كماله • وصدق رسله • فتشير منه الى شئ يسير • يكون منبها على ما وراه ذلك الاعلى
ما سواه • خلق الله السموات سبعا • فاختار العليا منها • فجعلها مستقر المقربين من ملايكته واختصها
بالقرب من كرسيه ومن عرشه واسكنها من شاء من خلقه فلها من ربه وفضل على سايرالسموات
ولو لم يكن الا قربها منه تبارك وتعالى • وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوى مادة السموات
من ابين الادله على كمال قدرته وحكمته • وانه يخلق ما يشا ويختار • ومن هذا تفضيله سبحانه
جنته الفردوس على سايرالجنان وتخصيصها بان جعل عرشه سقفها وفى بعض الاثار ان الله سبحانه
غرسها بيده • واختارها لخيرته من خلقه • ومن هذا اختياره من الملايكه المصطفين منهم على
سايرهم • جبرئيل • وميكايل • واسرافيل • وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم رب جبرئيل
وميكايل • واسرافيل • فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهاده انت تحكم بين عبادك فيما كانوا
فيه يختلفون • اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشا الى صراط مستقيم
فذكر هولا الثلثه من الملايكه لكمال اختصاصهم • واصطفايهم وقربهم من الله وكم من ملك عندهم
فى السموات فلم يسم الا هولا الثلثه • فجبرئيل صاحب الوحى الذى به حيوه القلوب والارواح
وميكايل صاحب القطر الذى به حيوه الارض والحيوان والنبات • واسرافيل صاحب الصور الذى

بفضيل جنة الفردوس